مجلة العلوم الإسلامية والحضارة رقم ISSN 2477 – 9903
المجلد 08 ـ العدد 02 ـ السنة 2023 ص 273 - 294

جهود الإمام أحمد بن نصرالداودي في تخريج الفروع على أصول المالكية من خلال كتابه الأموال

Efforts of Al- Imam Ahmed bin Nasr Al-Din Al-Dawudi in graduating the branches on the Malikia origins through his book Al-Ammwal

يوسف فارسي [1]* عامر فاطمة [2]

[1] مخبر الدراسات الإسلامية واللغوية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر
m.hamzayouceffarsi16@gmail.com

[2] مخبر الدراسات الإسلامية واللغوية، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر
fatmameur@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/03/06 تاريخ القبول: 2023/05/14 تاريخ: النشر: 2023/06/06

الملخص:

كان الإمام أحمد بن نصر الداودي سيداً من سادات المالكية في المغرب الأوسط –الجزئر– محدثاً مجتهداً أصولياً فقيهاً قل له نظير في تلك الحقبة التارخية، ساهم مساهمة كبيرة في حفظ فروع وأصول مذهب المالكية بتخريجاته الفقهية للمسائل والوقائع المستجدة و ظهر ذلك جلياً في كتابه الأموال ، نهج في تخريجها على المنهج الأصولي للإمام مالك وذلك من ناحية الاستنباط والاستدلال والتكييف المقاصدي للنوازل، فكان مثالا يقتدى به في تخريج الفروع الفقهية على أصول المالكية، وكان كتابه الأموال نموذجا حيا شاهدا على ذلك .

الكلمات المفتاحية: أحمد بن نصر الداودي ; الأموال ; التخريج ; الفروع ; الأصول.

* المؤلف المرسل

doi: https://doi.org/10.55781/rsic.v8i2.478

Abstract:

Al-Imam Ahmed bin Nasr al-Dawudi was a master of the Malikia masters in the Middle Maghreb - Algeria - Hadith scholar and diligent fundamentalist Jurist he had a few counterparts in that historical era, He made a significant contribution to the preservation of branches and The origins of the Malikia doctrine by its jurisprudential linking of emerging issues and facts, which appeared clearly in his book Al-Ammwal and linked to the curriculum and assets of Imam Malik in terms of elicitation and inference and adaptation of purposes about new issues, He was an example of linking the jurisprudence branches to the origins of Malikia and his book Al-Ammwal was a live model witness to that.

Keywords: Ahmed bin Nasr al-Dawudi, Al-Ammwal, Linking, Branches, The assets.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله .

إنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد فقد كان للمغرب الأوسط ـ الجزائر ـ علماء أفذاذ ، خدموا المذهب المالكي أيمّا خدمة في شتى العلوم، الحديث والفقه والأصول، فدونوا وألفوا وحرروا وبينوا واجتهدوا، وخرجوا الفروع على الأصول، وفق مناهج الاستنباط والاستدلال عند أئمة المالكية الأعلام، دون تعصب وغلو، فكانوا نجوما يستضاء بنور علمهم في ظلمات الجهل والوهن والزيف، مع كثرة النوازل والوقائع والمستجدات، فحققوا بذلك مقصد الشارع الحكيم في صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

ومن النجوم التي سطعت في سماء المغرب الاوسط الإمام العلامة أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي الجزائري المالكي، فلقد كان له دور كبير في خدمة مذهب الإمام مالك والذود عنه تخريجا وتأصيلا.

إشكالية البحث تهدف إلى معرفة حياة الإمام أحمد بن نصر الداودي الشخصية والعلمية بالإضافة إلى إنتاجه العلمي وجهوده في تخريج الفروع الفقهية على أصول الأئمة المالكية من خلال كتابه (الأموال) وعلى ضوء ذلك نطرح التساؤلات التالية:

1. كيف كانت حياته الشخصية والعلمية ؟
2. ماهي أهم مؤلفاته ؟
3. وماهي جهوده في تخريج الفروع على أصول المالكية من خلال كتابه الأموال ؟

هذه الأسئلة استوقفتنا، وشدت انتباهنا، وحركت أقلامنا للبحث في حياة هذه الشخصية الجزائرية التي لاتعرف إلا عند خاصة الخاصة رغم إنجازاته ومؤلفاته وتراثه العلمي، ولم نجد فيما وقفنا عليه من تكلم على هذه القضية أو نبه عليها، رغم أنه يمكن أن يقال أنّ كتاب الأموال من أقدم الكتب التي تمثل الشق التطبيقي لعلم تخريج الفروع على الأصول، بالنظر إلى أقدميته وأسبقيته.

يهدف بحثنا هذا إلى :

- إبراز دور علماء المغرب الأوسط ـ الجزائر ـ في خدمة المذهب المالكي ، أصولا وفروعا.
- التعريف بالإمام أحمد بن نصر الداودي .
- إظهار المكانة العلمية للإمام أحمد بن نصر الداودي.
- دراسة تحليلية استدلالية لكتاب الأموال لأحمد بن نصر الداودي.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج العلمي الاستقرائي الاستنباطي، وذلك من خلال تتبع المعلومات من مظانها وجمعها واستقرائها إن ظهرت جلية ، أو استنباطها إن كانت ضمنية ، وفق

منهجية علمية تقتضي جمع المادة العلمية من مظانها ومصادرها الأصلية ، ثمّ التحقيق في صحة نسبتها إلى أهلها .

هذا والله المعين والموفق.

1. الحياة الشخصية للإمام أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي

إن أول من ترجمة للإمام الداودي هو القاضي عياض في مؤلفه ترتيب المدارك وكل من جاء بعده قد نهج نهجه ، فلذلك تعتبر المادة العلمية في السيرة الذاتية لهذا العلم من أعلام المالكية شحيحة جدا، على أنّنا سنحاول جمع ما تيسر من المعلومات التي تخص الحياة الشخصية والعلمية لعالم المغرب الأوسط ـ الجزائر ـ في تلك الحقبة التاريخية، مع التدقيق فيها والنظر في أوجه الاتفاق والاختلاف بين أهل السير والتراجم في ذلك وبيان الصحيح والضعيف منها .

1.1 اسمه ونسبه وكنيته

اسمه: هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي المسيلي شيخ الإسلام وشيخ المالكية في المغرب العربي الإسلامي[1] فهو من بني أسد القبيلة العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا .

كنيته: أبو جعفر وهو ما اتفق عليه أهل التراجم والسير ممن ترجموا له على غرار القاضي عياض[2] لكن الزركلي قال إنه يكنى بأبي حفص[3] .

ولعلّ ما يجب التنبيه عليه في الترجمة لهذا الإمام، التفرقة بينه وبين عالم آخر يقال له أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري المتوفى سنة 319هـ كما نبه عليه ابن فرحون المالكي[4] .

كان الإمام الداودي يلقب بشيخ الإسلام، وإمام علماء الشريعة المجتهدين[5] جعله القاضي عياض في الطبقة السابعة من فقهاء المالكية[6] واعتبره ابن فرحون من الطبقة نفسها[7] وخالف ابن مخلوف فجعله في الطبقة التاسعة[8].

2.1 مولده ونشأته

نحن نعلم أن أول من ترجم للداودي رحمه الله تعالى كما سبق وذكر هو القاضي عياض صاحب كتاب ترتيب المدارك، والقاضي عياض رحمه الله تعالى لم يذكر في ترجمته لهذا العلم سنة ميلاده ، ولم يذكر كم عمّر في الأرض ليعرف سنة ميلاده بالتحديد وهذا ماسار عليه جميع من ترجم للداودي من بعده[9] .

وحصل خلاف في مكان مولده ، فقيل ولد بمدينة مسيلة، وقيل ولد بمدينة ليانة قرب مدينة بسكرة وهو ما رجحه زهير الزاهري أحد تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس فقال " هو من ليانة (ولاية بسكرة)، ولأهله مقبرة ببسكرة مثل ليانة ومسجد جامع ببسكرة، وهو لياني المولد بسكري الإقامة مسيلي الإمارة تلمساني الدفن "[10].

وقال القاضي عياض "هو المسيلي مولدا ، الطرابلسي نشأة ، التلمساني وفاة "[11].

أما فيما يخص نشأته فقد ذكر الأستاذ حميم عمران أنّ المصادر التي تكلمت على ترجمة الداودي لم تشر إلى ظروف نشأته ، وذلك للتباعد بين أول من ترجم له وهو القاضي عياض وبين حياة الداودي، وقد ولد القاضي عياض سنة 476هـ وقد تكون بداية نشأة الداودي مع مستهل النصف الثاني من القرن الرابع ، ولا تسعفنا المصادر بتفاصيل عن حياته الأولى ، إلا أنّ سماع بن ميمون من أهل طليطلة (ولد سنة 353هـ) من أبي جعفر الداودي بالمسيلة قد يكون إشارة وقرينة على اشتغال الداودي بالعلم في مرحلة مبكرة من حياته [12].

3.1 رحلاته ووفاته

لم تشر المصادر التي تطرقت إلى ترجمة الداودي وعلى رأسها ترتيب المدارك للقاضي عياض إلى رحلاته وتنقلاته .

إلا أنّه يذكر أنّه تنقل إلى طرابلس الغرب لطلب العلم واستوطن بها وأقام بها مدة ، ولم تذكر هذه المصادر رحلة إلى غير طرابلس، وكان اعتماده بالدرجة الأولى على جهده واطلاعه الخاص، أي أنّه كان عصاميا في طلب العلم[13].

وذكر الأستاذ حميم عمران أنّه لا يستبعد تنقله إلى مدينة القيروان عاصمة إفريقية حيث أنّها لم تكن بعيدة عن طرابلس مستقر هذا الإمام ، ولا عن مدينة تلمسان التى قضى فيها آخر أيامه ، وذلك بهدف التزود من علم علماءها كما هو معهود من مسلك طلبة العلم في ذلك العصر، ونقل عن ابن بشكوال في كتابه الصلة أنّ من تلاميذ الداودي من سمع منه وأخذ عنه بالقيروان مثل ابن الفرضي وغيره[14].

قال الأستاذ حميم عمران: " قال المهدي بوعبدلي "وفي أواخر القرن الرابع هجري حل بتلمسان الفقيه أحمد الداودي، أحد دعاة المذهب المالكي الذي سبقت له المشاركة في الحملة العنيفة التي قام بها فقهاء المذهب المالكي بالقيروان على المذهب الشيعي وكان يتزعمها الفقيه مُحَمَّد بن أبي زيد القيرواني "[15].

وفاته : بعد ما تم تقديمه من هذا العالم العصامي الفقيه المالكي الفذ للمغرب العربي الإسلامي الكبير من نشر للعلم والانكباب على التدريس والافتاء إنتقل إلى جوار ربه تعالى في بداية القرن الخامس للهجرة، والملاحظ للمصادر التي ترجمت لهذا العلم يجد أنّه وقع خلاف بينهم في تحديد سنة الوفاة وقد حصل اتفاق بين أغلبهم على أنّ أصح الأقوال هو ما رجحه أول من ترجم له القاضي عياض السبتي فقال: " قرأت في بعض التواريخ أنّ وفاته سنة 410هـ ". قال : " والأول أصح أي أنّه يقصد 402هـ"[16].

وذهب صاحب شجرة النور الزكية ابن مخلوف إلى أنّه توفي سنة 440هـ[17].

وذهب الزركلي أنّ وفاته كانت في 307هـ[18].

وإلى قول القاضي عياض ذهب بن فرحون[19]، والحجوي[20].

وقد قال : أحمد المقري التلمساني[21]:

ومن بها أهل ذكاء وفطن يكفيك أنّ الداودي بها دفن

في رابع من الأقاليم قطن مع ضجيعه ابن غزلون الفطن.

2. الحياة العلمية لأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي

1.2 شيوخه وأصحابه وتلاميذه

شيوخه : أكثر من ترجم للإمام الداودي قال أنّه كان عصاميا أي أنّه تعلم وطلب العلم بمفرده ولم يأخذ عن شيوخ معروفين، بل وصل إلى ما وصل إليه ببديهته وحرصه وذكاءه وفطنته، وبحبه للاطلاع، وبإدراكه ،كما ذكر ذلك القاضي عياض[22].

وخالفه في ذلك صاحب كتاب شجرة النور الزكية فقال أنّ الداودي رحمه الله تعالى تفقه وطلب العلم على أيدي بعض شيوخ وفقهاء زمانه ممن لقيهم مثل أبي سليمان ربيع القطان ابن عطاء الله القرشي[23] ولازمه وتتلمذ على يده[24].

وقد ذكر كذلك ابن صعد التلمساني في كتابه النجم الثاقب لما تكلم عن ترجمة الداودي أنّ له شيوخ أخذ عنهم ، ومما يدل على ذلك روايته للحديث عن بعض مشيخته[25].

ومن شيوخه أيضا ما ذكره ابن الأبار فقال أنّ من شيوخه إبراهيم بن خلف الأندلسي[26].

أصحابه: لقد كان الداودي رحمه الله عصاميا في طلب العلم إلا أنّ ذلك لم يكن مانعا من أن يكون له أصحاب وأقران فقد كان هذا العلم رحمه الله سيدا من سادات المالكية في زمانه محدثا مجتهدا صاحب رزانة وثروة علمية جعلته محل اهتمام من طرف الطبقة العلمية في ذلك العصر فلقد ذكر ابن مريم في كتابه البستان أنّ من أصحابه :

. مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بابن رحمة المطفري .

. علي بن يحي السلكسيني الجاديري الفقيه العالم المحقق وذكر أنّه من أولياء الله الصالحين [27].

تلاميذه: كان الداودي رحمه الله تعالي علما من أعلام المغرب الذين ذادوا وانتصروا لمذهب مالك رحمه الله تعالى، مما جعل طلبة العلم يشدون له الرحال من كل فج عميق من المغرب العربي الإسلامي الكبير، فكان له بذلك طلبة وتلاميذ لازموه وأخذوا عنه العلم ورووا مؤلفاته وكتبه ولقد ذكر صاحب كتاب الصلة ابن باشكوال أنّ من تلاميذه[28] :

. أحمد بن مُحَمَّد بن عبيد الأموي المعروف بابن ميمون وهو من أهل طليطلة في الأندلس كان يكني بأبي جعفر (400هـ) [29].

. أحمد بن سعيد بن علي الأنصاري القناطري المعروف بابن الحجال يكنى بأبى عمر (428هـ)[30].

. أحمد بن مُحَمَّد بن إسماعيل بن سعيد القيسي يكنى بأبى بكر (429هـ)[31] .

. أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الألبيري كان يكنى بأبي العباس (432هـ)[32] .

. أحمد بن مُحَمَّد بن ملاس الفزازي كان يكنى بأبي القاسم (435هـ)[33] .

كما أوصلها محقق كتاب الأموال للداودي إلى ما يقارب تسعة عشر تلميذا[34].

كان لهذا العلم من أعلام السادة المالكية في المغرب مجموعة من الطلبة المشاهير ممن عرفوا بالعلم والورع والزهد وملازمة شيخهم شيخ المالكية بالمغرب ، فكانوا نجوما نقلت لنا علم هذا الرجل العالم المجتهد الفذ الذي وصل إلى مرتبة من العلم لا يمكن أن يصل إليها غيره بعصاميته .

2.2 منزلته العلمية وثناء العلماء عليه

منزلته العلمية : كان الإمام الداودي رحمه الله تعالي عالما فذا استطاع بعصاميته أن يبلغ مبلغ الاجتهاد مستنبطا أحكام للنوازل والمستجدات التي ظهرت في عصره فأعمل النصوص ، منتهجا

نهج مالك في التأصيل والتنظير والاستنباط والاستدلال ، مراعيا لمقاصد الشريعة في تنزيل الأحكام على الوقائع والمستجدات ، فبلغ بذلك مبلغ العلماء المجتهدين العالمين العاملين .

فقد قال محقق كتاب الأموال: " فعندما نتحدث عن الإمام الداودي كشخصية علمية ، لابد أن نراعي الجانب السلوكي والعلمي فيهما ، فهو محدث ، زاهد ، لا يميل إلى الدنيا ، وإنّما كان همه فيها نصرة السنة النبوية وإحياؤها وإحياء مذهب مالك والدفاع عن مذهب أهل السنة والجماعة دليله في ذلك قول النبي ﷺ " تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك"[35].

وقال أيضا :" والحق يقال أنّ الإمام الداودي إمام وفقيه ومحدث إمام من أئمة المالكية الاعلام، الذين دافعوا بحق عن السنة النبوية دفاع العالم المتبحر من غير تعصب لمذهب ولكن يتمسك بأحقية الاسناد وأولويته ، وإن كان مخالفا لمذهبه"[36].

ثناء العلماء عليه : قال القاضي عياض : " من أئمة المالكية بالمغرب والمتسعين في العلم المجتهدين للتأليف"[37] . وقال أيضا :" كان فقيها فاضلا متقننا ومؤلفا مجيدا له حظ من اللسان والحديث والنظر "[38]، وبمثل قوله قال ابن فرحون[39].

قال ابن مخلوف: " الإمام الفاضل العالم الفقيه ، له حظ من اللسان والحديث والنظر "[40]، وقال أيضا عنه الحجوي: " فقيه متقن ، فاضل ، مشارك في الحديث والنظر واللسان "[41]، وذكره بن صعد التلمساني فقال:" كان رحمه الله علامة العلماء من أكابر الأولياء مشهورا بإجابة الدعاء "[42]، وتحدث الجيلالي بقوله: " شيخ الإسلام وإمام الشريعة المجتهدين "[43].

3.2 مؤلفاته

لقد كان للإمام الداودي رحمه الله تعالى حظا كبيرا من التأليف فألف في جميع العلوم الإسلامية من عقيدة وفقه وأصول وحديث، ولقد تكفل طلبته بنقل هذا التراث بالاجازة عنه ، والباحث في

هذا الأمر يجد أنّ معظم مؤلفاته لم تصل إلينا، بل هي مفقودة على غرارها من المخطوطات النفيسة، ومن مؤلفاته مايلي[44]:

- **في الحديث :**

. النامي في شرح الموطأ وهو مفقود .

. النصيحة وهو شرح لصحيح البخاري ، وأول شرح في المغرب الإسلامي وهو مفقود ،ولم يصل منه سوى منقولات منه ذكرها ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري، و العيني، والقسطلاني وغيرهم ممن شرحوا الصحيح ونقلوها عن ابن التين .بل هناك من صرح أنّ الأمام الداودي هو أول من شرح صحيح البخاري كما ذكر ذلك الدكتور حبيب بوزاودة ، في مقاله المنشور في مجلة العلوم الإسلامية والحضارة ناسبا ذلك للشيخ عبد الرحمن الجيلالي فقال : " بل إنّ الشيخ عبد الرحمن الجيلالي يصرح بأنّ الامام الداودي التلمساني هو أول من شرح صحيح البخاري في كتابه المسمى (النصيحة في شرح صحيح البخاريّ)"[45].

- **في العقيدة :**

. الإيضاح في الرد على القدرية .

- **في الفقه:**

. الواعي في الفقه المالكي وهو مفقود .

. الأسئلة والأجوبة في الفقه مخطوط بجامعة الزيتونة .

. البيان وهو مفقود أيضا .

. الأموال وهو من أحسن ما ألف في الاقتصاد الإسلامي مححقق ومطبوع .

- **في الأصول :**

.كتاب الأصول وهو مفقود .

- **في التفسير :**

. تفسير القرآن المجيد وهو مفقود .

هذا وإنّ الناظر في سيرة هذا العلم من أعلام المالكية يجدأنّه من العلماء الربانيين الذين كان لهم أثر ظاهر جلي في مجتمعاتهم في تلك الحقبة التاريخية ، فقد استطاع الإمام أحمد بن نصر الداودي أن يجد حلولا فقهيتة لجملة القضايا المستجدة التي استفتي فيها ، وهذا هو حال العلماء الربانين العالمين العاملين المتبصرين الناظرين في مآلات الأفعال ، فالعلماء الربانيون هم " العلماء لنفسهم المعلمين الخير لغيرهم ، المتبعين لنهج الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . في التعليم والدعوة " [46].

3. فقه الإمام الداودي وجهوده في تخريج الفروع على أصول المالكية

1.3 المذهب الفقهي للإمام الداودي وأهم المؤلفات التي حفظت فقهه

– المذهب الفقهي للإمام الداودي:

كان الإمام الداودي رحمه الله من كبار علماء المالكية في المغرب الأوسط ، وكان ممن ساهموا في نشر المذهب والذود عنه باللسان والقلم، فلقد كان متبحرا عالما ، جامعا لأقوال الإمام مالك رحمه الله وأصحابه ، ولم يكن متعصبا ولا متشددا ، بل كان همه البحث عن قوة الدليل والتمييز بين سقيم وصحيح الحديث، وقد يخالف إمامه في بعض المسائل إلا أنّه يعتذر له، إذ قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: " من أئمة المالكية بالمغرب والمستعين في العلم المجتهدين للتأليف "[47].

–أهم المؤلفات التي حفظت فقه الإمام الداودي :

لقد كان للإمام الداودي رحمه الله حظا كبيرا من التأليف إلا أنّ تراثه العلمي والفقهي لم يصل إلينا بكامله، بل فقد منه جزءا كبيرا، ولم يذهب علم هذا الرجل هباء منثورا، بل قدر الله له البقاء بأن قيض له علماء حفظوا فقه هذا العالم، ومن أهم العلماء والمؤلفات التي حفظت فقهه مايلي:

1/ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي .

2/ نوازل بن رشد أو فتاوى بن رشد أو مسائل بن رشد الجد صاحب البيان والتحصيل .

3/ الدرة المكنونة في نوازل مازونة ليحي بن أبي عمران المغيلي .

4/ نوازل البرزلي لأبي القاسم بن أحمد بن مُحَمَّد البرزلي .

2.3 دراسة تحليلية من الناحية الاستدلالية لكتاب الأموال لأحمد بن نصر الداودي

إنّ الناظر في كتاب الأموال للإمام رحمه الله تعالى يجده قد سار على منهجية علمية من أجل التأصيل والتنظير والتخريج لجميع المسائل المتعلقة بالأموال، وفق إعمال الأدلة الشرعية ، وجمع لآراء الأئمة المجتهدين والترجيح بينها، دون تعصب لأحد بل ينظر فيما يحقق المصلحة القطعية أو الظنية القريبة من القطع ، وبما يصلح لزمانه وبيئته وما يحقق مقاصد الشرع الحنيف وفيما يلي بيان لذلك :

المنهج الاستدلالي لإمام أحمد بن نصر الداودي:

من خلال دراسة نظر وتدقيق لكتاب الأموال نجد أنّ الداودي قد وضع لنفسه منهجية استدلالية للبرهنة على صحة الأقوال وتخريجها على الأصول وقد تمثلت فيما يلي :

الاستدلال بنصوص الكتاب[48] : ومثاله ماجاء به في الجزء الثالث من كتابه في فصل ذكر القتل والمن والفداء حيث أوجب على من ولي أمر جيش المسلمين أن لا يأسر من المقاتلة أحد إلا بعد الإكثار من القتل فيهم بدليل صريح الآيتين في قوله عزوجل: (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق)[49] .

وقوله تعالى: (ما كان لنبيئ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) [50].

الاستدلال بصحيح السنة وتقديمها على القول المخالف لها مهما كان صاحبه: ومثاله ما جاء في ذكر ما ينفله الإمام قبل القتل فكره الإمام مالك بن أنس ذلك وأجازه الإمام أحمد بن نصر الداودي بصريح حديث عمر بن العاص ومحل الاستدلال في قول النبي ﷺ: "هل لك أن أبعثك في جيش يسلمك الله ويغنمك "، فقال: " وإذا كان أصل العمل لله فلا حرج أن يبتغي المرء مع ذلك ما ينال من فضل الله "[51].

الاستدلال بإجماع العلماء قال:" وأجمع العلماء أنّ جميع ما غنم الجيوش مما يصلون به إلى عسكرهم من الأموال سوى الأسلاب والطعام أنّ خمسه مصروف فيما ذكر الله تعالى في آية الخمس وأنّ أربعة أخماسه بين الأحرار من أهل الجيش إلا من كان منهم صغيرا لا يطيق القتال أو إمرأة فلا سهم لهم "[52].

الاستدلال بدليل القياس: ويظهر ذلك في ذكر ما يترك من عطاء من اتخذ مال الله دولا ومبايعتهم والاقتضاء منهم وأشريتهم وما يحدث لهم من الأموال قال:" قال الله سبحانه في آي المواريث (من بعد وصية يوصي بها أو دين) [53] ولا خلاف بين الناس أن من غصب مالا أو أخذه بغير حق أنه دين عليه " [54]، فقد قاس الإمام رحمه الله المال المغصوب أو ما أخذ بغير وجه حق فهو في حكم الدين فحكم بوجوب رده لعلة عدم تملكه .

القواعد الأصولية : لقد رام الإمام رحمه الله في كتابه الأموال تخريج الأحكام الفرعية على جملة من القواعد الأصولية المنظرة يقول في دباجة كتابه: " وتعبد عباده بأشياء منها مالم يجر عليه النسخ والتبديل ولا يتغير حكمه إلى يوم يبعثون " [55] فهذا من قبيل التقعيد الأصولي الذي أقره واعتبره الإمام الداودي، وهو أصل من أصول الأئمة المالكية .

ومن أمثلة ذلك مايلي :

قال الإمام الداودي " ليعلموا أن الإجتهاد لأهله سائغ فيما لا نص فيه "، فأقر واعتبر الإمام في هذه القاعدة الأصولية أمران وهما :

– أنّه لا يجوز الاجتهاد لشخص إلا لمن بلغ درجته والإحاطة بمداركه .

– ولا يجوز الاجتهاد إلا فيما لا نص فيه .

قال الإمام الداودي: "وليس لمن أراد خلاف سنة أن يدعي ما يبطلها بغير برهان " [56] فقد قعد الإمام لهذه القاعدة الأصولية وعمل بمقتضاها لدرء التعارض بين النصوص وتخريج الفروع الفقهية عليها بإعمال الراجح من الأقوال المؤيدة بصحة الدليل وصراحته .

3.3 نماذج من اجتهادات الإمام الداودي المخرجة على أصول الائمة المالكية من خلال كتابه الأموال

كان الإمام الداودي فقيها محدثا أصوليا مالكا لوسائل الاجتهاد وعلوم الآلة التي تمكنه من استنباط الأحكام للمستجدات والنوازل مما جعل طلبة العلم والعوام يتجهون إليه من أجل الفتوى وسنبرز في هذا المطلب بعض النماذج من اجتهاداته في بعض من المسائل المستجدة والنوازل التي حدثت في زمانه فأفتى فيها تخريجا على الأصول الشرعية للأئمة المالكية ويظهر ذلك جليا في الجزء الرابع من كتاب الفصل الأول:

" ذكر الأموال التي لا يعرف أربابها ، والأموال المغتصبة ، وما جلى عنه أهله ، أو بعضهم ، ومعاملة أهل الغصب والظلم ، ومن أكره على سكنى أرض مغصوبة، وما يكره من المكاسب وما يجوز " وفيما يلي بيان ذلك :

– **مسألة** : الماء الذي يأتي من جبل ولا يُعلم صاحب أصله .

جاء في كتاب الأموال: " وسأله أهل موضع : قالوا : أنه يأتينا ماء من بعض جبالنا فنسقي منه أرضنا وقد أخبرنا آباؤنا عن آبائهم أنّ أصله لم يكن لهم وأنّه لقوم لا يعرفون "[57] .

فأجاب بـ :" وهذا بحال ما ذكرت، إن رأى الإمام ، أو عدول المسلمين ، إن لم يكن إمام عدل بيع ذلك أوقاتا ، فعل من وُليَّ ذلك ، ويصرف الثمن في منافع المسلمين، وإن رأى بيعه من أصله فعل، وإن لم يكن من يقوم بهذا ولا بهذا، فليتحرّ كل من أَجرى منه شيئا، فليتصدق بقيمته أو يدخله في منافع المسلمين "[58] ، فخرّج الإمام مقتضى فتواه على قاعدتين أصوليتين :

الأولى: فعل الإمام منوط بالمصلحة .

الثانية: تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

وهما أصلان معروفان عند أئمة المالكية بالاجتهاد المصلحي، أو المصالح المرسلة.

-**مسألة:** الأرض التي جلى عنها أهلها خوفا.

قال: " وأما الذين جلوا فإن عرفوا أو عرف ورثتهم ، وعرفت أموالهم التي جلوا عنها ، كانت لهم، وإن جهلت أموالهم ولم يلتبس بها من أقام بعدهم، وكانت منعزلة قد كفّى عنها من بقي إلا أنّه لا يعلم ما لكل واحد ، منهم ولم يأت، أو علم بموته ، ولم يعلم كيف ورثت عنه، أو كان قد أسلم، أو بقي على كفره، فما جهل هكذا فهو مما أفاءه الله على المسلمين إن رأى الإمام إبقاءه أبقاه، لتكون غلاته في مصالح المسلمين، فعل ، وإن رأى بيعه وإدخاله في مصالح المسلمين، فعل . وإن لم يكن إمام ينظر فيه للمسلمين . كان عدول الموضع الناظرين في ذلك بما ينظر فيه الإمام العدل. "[59].

فقد أعمل الإمام في هذا النص جملة من القواعد والأدلة الأصولية وخرج الفتوى على مقتضاها كدليل استصحاب الحال، وبقاء ما كان على ما كان ، وإعمال دليل المصالح المرسلة ، بتقديم مصالح عامة المسلمين على المصلحة الخاصة، وإعمال قاعدة اجتهاد الإمام منوط بالمصلحة ، وهذا كله من قبيل تخريج أحكام الفروع المستجدة والنوازل المستحدثة على الأصول الشرعية للأئمة المالكية بما يتماشى ومتطلبات زمانه وما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية.

– **مسألة:** قوم غصبت منهم أرضهم ثمّ قدروا على الانتصاف وقد زرعها الغاصب زمانا ووجدوا فيها زرعا قائما .

قال : " وأما ما وجدوه في إبان الزراعة فلهم أخذه بغير شيئ يعطونه للغاصب ، إلا أن يكون ذا قلع ورمي بالأرض قيمة ، فيعطى الغاصب قيمته مقلوعا ، بعد طرح أجرة قالعه ، ويحاسب بتلك القيمة ، إن تقدمت له في تلك الأرض زراعة ، وإن لم يدرك إلا وقد فات إبان الزراعة ، فقد

اختلف قول مالك في ذلك ، واختلف العلماء فيه ، فقيل : على الغاصب الكراء والزرع له، وقيل الزرع لرب الأرض وهذا أولى للحديث المرفوع : (ليس لعرق ظالم حق) ، ولإجماع العلماء أنّ من أولد أمة مغصوبة فسيدها أحق بولدها . وما تقدم مما ناله الغاصب مما زرع في هذه الأرض فهو بهذه المنزلة " [60] .

فقد ذكر الإمام الداودي رحمه الله الفتوى وفصلّ القول في المسألة وأصّله وخرجه على أصول مالك ورجح الخلاف بين أقواله ومروياته بقياس مسألة من سبقت له زراعة في أرضه المغصوبة تم استردها وقد زرعها الغاصب فأفتى بأنّه لاشيئ للغاصب وقاسها على إجماع العلماء على أنّه من غصب إمراة وأولدها فلسيدها الحق في ذلك الولد .

فهذه بعض المسائل التي سئل عنها الداودي فأجاب عنها وخرج الفتوى على أصول الإمام مالك وغيرها كثير في كتابه الأموال الذي يعتبر من الكتب التطبيقية لعلم تخريج الفروع على الأصول.

الخاتمة :

الحمد لله الذي تتم به الصالحات، فقد تم هذا البحث بحمده ومنه وفضله وكرمه، فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الشكر والثناء الجميل، على ما أولانا من هذه النعمة والفضل الجزيل، ثم الصلاة والسلام على إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد تتبعنا لسيرة هذا العلم من أعلام المالكية في المغرب الأوسط ، والذي كان له دور كبير في خدمة المذهب المالكي فروعا وأصولا ، استنباطا واستدلالا، فقها وتفقها ، والذي ظهر جليا في كتابه الأموال ، فقد وقفنا من خلال هذه الإطلالة على أهم المعالم والميزات التي تميز بها هذا العلم من الناحية الشخصية والعلمية والجهوده التي بذلها في تخريج الفروع على أصول المالكية خاصة فتواه في النوازل والمستجدات وهي على سبيل الإجمال كالتالي :

1. أن الإمام الداودي رحمه الله من كبار علماء المالكية الذين ذادوا على المذهب المالكي في المغرب الأوسط .

2. أن الإمام الداودي كان عصاميا أي أنه لم يتفقه علي يد عالم معروف وليس هذا محل ذم له بل هو محل مدح فهو دلالة على جهده وفطنته وذكائه .

3. أن الإمام الداودي عاش في زمن كثر فيه انتشار الفرق الضالة والطوائف المبتدعة وظهور نوازل ومستجدات لم يعرف لها من قبل مثيل أفتى فيها تخريجا على أصول الائمة المالكية.

4. أنّ الإمام الداودي كان فقيها أصوليا محدثا مجتهدا غير متعصب، مالكا لعلوم الآلة المساعدة على الاجتهاد في تخريج الأحكام الفرعية للنوازل المستجدة على الأصول الشرعية للأئمة المالكية بما يحقق مقاصد الشريعة الاسلامية .

5. يعتبر كتاب الأموال من أقدم الكتب التي تعتبر مؤسستا لعلم تخريج الفروع على الأصول.

6. ترك الإمام الداودي رحمه الله تعالي ثروة علمية في جميع العلوم الإسلامية إلا أنها في حكم المفقود أو أنها مازالت حبيسة الرفوف.

7. شخصية الإمام الداودي تثبت أنه كان للمغرب الأوسط ـ الجزائر ـ علماء فحول والإمام الداودي أكبر دليل على ذلك.

هذا ونسأل الله التوفيق والسداد وهو الهادي إلي سبيل الرشاد والفلاح وآخر دعوانا أن الحمد لله لرب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم بن علي بن مُحَمَّد ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة علماء عيان المذهب، تحقيق مامون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1، 1996م.

2. أبي جعفر احمد بن نصر الداودي، الأموال، تحقيق رضا سالم مُحَمَّد شحادة، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2008م.

3. أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن مريم، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1986م.

4. أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968م.

5. أراء الإمام الداودي في باب المعاملات من خلال المعيار المعرب ، رسالة ماجستير، حميم عمران ،2010/2009م.

6. حبيب بوزوادة، "دور علماء الجزائر في خدمة الحديث النبوي"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط: الجزائر، ع8، جوان2018.

7. خلف بن عبد الله بن بشكوال، الصلة، الدار المصرية، القاهرة ،1980م.

8. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط16 ،2005م.

9. سجد دلوع، انشراح اليبرودي، "مرتكزات ومبادئ الأمن الاجتماعي في التربية الإسلامية (رؤية مقاصدية)"، دراسات : العلوم الإنسانية والاجتماعية، لجامعة الأردنية ، المجلد 50، ع1، 2023.

10. عبد الرحمن بن مُحَمَّد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون الجزائر،ط7، 1994م.

11. القاضي عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق سعيد احمد اعراب، المملكة المغربية ط2، 1982م.

12. مُحَمَّد بن ابي الفضل بن سعيد بن صعد التلمساني، النجم الثاقب فيما لاولياء الله من مفاحر المناقب، مخطوط بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز،الدار البيضاء.

13. مُحَمَّد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 2007م.

14. مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مخلوف ، شجرة النور الزكية، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2003م.

الهوامش:

[1] القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق سعيد احمد اعراب، المملكة المغربية ط2، 1982م ،ج7،ص 102 ،103.

[2] المصدر نفسه،ج7، ص102،103.

[3] خير الدين الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين ، بيروت، ط1، 2005م، ج1، ،ص264.

[4] ابن فرحون، الديباج المذهب، تحقيق مامون بن محي الدين الجنان ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1، 1996م،ص94.

[5] ابن ابي صعد التلمساني، النجم الثاقب ، مخطوط بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، ورقة 92،93.

[6] القاضي عياض، مصدر سابق،ج7، ص101،103.

[7] ابن فرحون ، مصدر سابق ، ص94.

[8] مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مخلوف، شجرة النور الزكية، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1، 2003م، ج1، ص164.

[9] القاضي عياض، مصدر سابق،ج7، 102،103.

[10] اراء الامام الداودي في باب المعاملات من خلال المعيار المعرب، رسالة ماجستير ، حميم عمران ،2010/2009، ص3.

[11] القاضي عياض ، مصدر سابق ،ج7،ص102،103.

[12] حميم عمران ، مرجع سابق ،ص3.

[13] القاضي عياض ،مصدر سابق ،ج7،ص102،103.

[14] حميم عمران ، مرجع سابق ، ص4.

[15] حميم عمران ، مرجع سايق ص4.

[16] القاضي عياض ، مصدر سابق ،ج7،ص102،103.

[17] ابن مخلوف، مصدر السابق ،ج1،ص164.

[18] خير الدين الزركلي، مصدر سابق،ج1، ص264 .

[19] ابن فرحون، مصدر سابق، ص94.

[20] مُحَمَّد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 2007م، ج3، ص147.

[21] احمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر ،1968، ج5، ص433.

[22] القاضي عياض ، مصدر سابق ،ج7،ص102،103.

[23] هو احد ائمة الفقه والزهد والرقائق من اهل افريقية جامع للعلم والعمل مات في جهاد بني عبيد سنة(333هـ) ، شجرة النور الزكية .

[24] ابن مخلوف ،مصدر سابق ،ج1،ص164.

[25] ابن ابي صعد التلمساني ، مصدر سابق ،ورقة ،ص92،93.

[26] ابي جعفر احمد بن نصر الداودي، الاموال، تحقيق رضا سالم مُحَّد شحادة، دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 2008م، ص36

[27] ابي عبد الله مُحَّد بن مُحَّد ابن مريم، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1986م، ص146

[28] ابن بشكوال، الصلة، الدار المصرية ، القاهرة ،1980م.

[29] المصدر نفسه،ج1، ص21 .

[30] المصدر نفسه ،ج1، ص43 .

[31] المصدر نفسه ،ج1، ص46 .

[32] المصدر نفسه ج1، ص49 .

[33] المصدر نفسه، ج1، ص86 .

[34] الداودي ، مصدر سابق ، ص ص 37،41.

[35] الداودي ،مصدر سابق ، ص46.

[36] المصدر نفسه ،ص48 .

[37] القاضي عياض ، مصدر سابق،ج7، 102،103.

[38] المصدر نفسه ،ج7،ص103.

[39] ابن فرحون ،مصدر سابق ،ص94 .

[40] ابن مخلوف مصدر سابق ،ج1،ص140 .

[41] الحجوي ، مصدر سابق، ج3، ص147.

[42] ابن ابي صعد التلمساني ، مصدر سابق ، مخطوط، ص92،93.

[43] عبد الرحمن بن مُحَّد الجيلاني،تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون الجزائر،ط7، 1994م، ج1،ص273.

[44] القاضي عياض، مصدر سابق ،ج7، ص102،103/ ابن فرحون ،مصدر سابق ص94/ ابن مخلوف ، مصدرسابق ج1، ص140.

[45] حبيب بوزوادة، "دور علماء الجزائر في خدمة الحديث النبوي"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط: الجزائر، ع8، جوان2018، ص483.

[46] سجد دلوع، انشراح اليبرودي، "مرتكزات ومبادئ الأمن الاجتماعي في التربية الإسلامية (رؤية مقاصدية)"، دراسات : العلوم الإنسانية والاجتماعية، لجامعة الأردنية ، المجلد 50، ع1، 2023، ص17.

[47] القاضي عياض مصدر سابق ج7،ص102 .
[48] احمد بن نصر الداودي ، مصدر سابق ، ص41.
[49] سورة محمد الآية 04 .
[50] سورة الانفال الآية 64.
[51] احمد بن نصر الداودي ، مصدر سابق ص34،35
[52] نفسه ، ص 11،12
[53] سورة االنساء ، الآية 12.
[54] احمد بن نصر الداودي ، مصدر سابق ، ص91.
[55] نفسه ، ص5.
[56] نفسه ص 162.
[57] نفسه، ص180.
[58] نفسه ، ص180،181.
[59] نفسه ، ص 81.
[60] نفسه، ص183.